الفصل الثالث عشر

نحو الشمال

بعد يومين من صخب تحمل الأغراض التي كان علينا أن نأخذها معنا على ظهر المركب، تدبرنا أمرنا وكنا على استعداد لركوب البحر بعد ظهر يوم ٣٠ يناير. في هذه اللحظة لم يبهجنا شيء أكثر من حقيقة أننا تمكنا في هذا التاريخ المبكر من تحديد مسارنا نحو الشمال وبهذا نكون قد خطونا خطونا الأولى على الطريق نحو تلك العالم الذي نعرف أننا عما قريب سننقل عنه أخبار أو سترد أخبار عنا منه. وحتى هذه اللحظة، أتساءل أنه لم يكن هناك شعورًا ولو قليلا بالحزن في خضم فرحتنا جميعا؟ لم يساور أحدًا منا القلق إن هذا هو الحال بالفعل، على الرغم من أن الأمر بالنسبة للكثير منا قد يبدو تناقضا صريحا، لكن لا يكن الأمر سهلا جدا أن تغادر مكان كان وطنا لك لأي مدة من الوقت، حتى وأن كان هذا الوطن في دائرة العرض تسعة وسبعون، مكان يغطيه الثلج والجليد بدرجة تقل أو تكثر. فنحن البشر بعيدين تماما من التخلي عن عادة حتى نتمكن

obeikandl.com

من فصل أنفسنا فجأة من الأشياء التي تحيط بنا والتي وجدنا أنفسنا مضطرين أن نتعود عليها لشهور عدة. هذا ما يفسر أن الغرباء قد يسألون الله بكل أسماءه أن يحفظهم من تلك الأشياء، مع عدم بطلان صحة هذه القاعدة بشكل تام. بالنسبة للأغلبية الكبيرة من زملائنا الرجال، بالتأكيد ستبدو فرامهايم كنقطة من تلك النقط على كوكبنا التي جل ما تتمناه أن تجد أنفسها – أرض منبوذة، مثل حفرة ليست على الطريق لا ترى فيها غير الخراب وعدم الراحة والملل. بالنسبة إلينا نحن التسعة، الواقفون على ممشى السفينة نتهيأ لمغادرة هذا المكان، تبدو الأشياء مختلفة قليلا بالنسبة إلينا. هذا المنزل صغير الحجم قوي البناء، الذي يغطية الثلج بالكامل خلف مونت نيلسون، كان طيله عام كامل بمثابة بيتنا، كان منزل جيد ومريح تماما، لطالما وجدنا فيه كل الراحة والهدوء بعد الكثير من أيام العمل المضنية. طوال فصل الشتاء بالكامل في القارة القطبية الجنوبية -- – ويا له من شتاء --- كانت حوائطه الأربعة تحمينا جيدا حتى أن بائس فقير يعيش في مكان أقل برودة قد يحسدنا من كل قلبه إن اتيحت له الفرصة يوما ورأنا. في ظروف من الصعب جدا على أي شكل من أشكال الحياة أن يستمر، تحملنا العيش في فرامهايم بلا مشاكل أو ازعاج، عشنا، إن شئت قل، ليس كالحيوانات ولكن كبشر متمدن كان في متناوله معظم الأشياء الجيدة التي تجدها في منزل من المنازل المجهزة جيدا. في الخارج ساد الظلام والبرد ومما لا شك أن العواصف الثلجية حاولت بكل ما أوتيت من قوة أن تمحو معظم الأثار الناتجة عن نشاطنا، لكن لم تتمكن تلك الأعداء أبدا أن تدخل من باب مسكننا الرائع؛ حيث تقاسمنا أركان يملؤها الضوء والدفء والراحة. لا أدري لعل هذا المكان كان له جاذبية قوية على كل واحد منا في اللحظة التي كنا مضطرين فيها إلى أن نولي ظهورنا عنه إلى غاية حسنة؟ فنحن ننتظر الكثير من العالم الكبير الذي ينتظرنا، هذا صحيح؛ قد يكون فيه الكثير ليقدمه لنا، عالم كنا مضطرين إلى التخلي عنه لفترة طويلة؛ وبلا شك أن هناك قدرا كبيرا رغبنا في

تأجيله بكل سرور لأطول وقت ممكن كان ينتظرنا هناك. فعندما تأتي الحياة ومعها كل هذه الهموم والقلق، قد ننظر إلى الخلف نادمين على الأيام التي قضيناها في فرامهايم في سلام وبلا منغصات.

مع ذلك، كان هذا الشعور بالحزن من القوة لدرجة أننا لم نتمكن من التغلب عليه بسرعة كافية. بالحكم على الوجوه، على أية حال، قد يرى الشخص أن الفرح هو الحالة المزاجية السائدة. ولما لا؟ لم يكن من المفيد البقاء في الماضي، فقد يبدو الأمر جذابا عما قريب. بالنسبة للمستقبل، كان معنا كل الحق أن نتوقع أفضل ما فيه. من يهتم في التفكير في المشاكل القادمة؟ لا أحد يهتم. هذا فرام يرتدي الأعلام من مفرق رأسه إلى أخمص قدمه، وتجدنا نبتسم إلى بعضنا ونحن مبتهجين مودعين منزلنا من خلفنا. قد يكون غادرنا المنزل ونحن على وعي أن الهدف من إقامتنا لمدة عام قد تحقق، بالرغم من ذلك، كان هذا الوعي أثقل علينا بكثير من التفكير في مدى سعادتنا هناك. هناك شيئا واحدا في العامين التي قضيناها معا في البعثة ساهم بشكل كبير في جعل الوقت يمر بسرعة وكان سببا في المحافظة على نشاطنا بالكامل ألا وهو الغياب الكامل لما يمكن أن أطلق عليه "الوقت الميت". مجرد أن نتمكن من حل مشكلة حتى تظهر واحدة أخرى على الفور. وحالما نحقق هدف فما يلبث أن يطل عليك آخر من بعيد. وبهذه الطريقة لم تفرغ أيدينا ولما كان هذا هو الحال كان الجميع يعرف أن الوقت ينقضي بسرعة. كثيرا ما كان تسمع أحدهم يسأل، كيف يمكن قضاء الوقت في هذه الرحلة؟ يا أصدقائي الأعزاء، وقد كانت أجابتي أن الشيء الذي يدعو للقلق هو التفكير في كيف يمكن أن نجد الوقت الكافي لكل ما علينا القيام به. ربما أن هذا القول بالنسبة إلى الكثير منا كان من الاحتمالات البعيدة. ومع ذلك، فقد كان صحيحا تماما. فلعل هؤلاء الذين طالعوا هذه الرواية بالكامل لمسوا بحال من الأحوال أحساسا بإن البطالة كانت شرا غير معروف تماما في مجتمعنا الصغير.

في تلك المرحلة التي نحن فيها الأن نجد أن الهدف الرئيسي لمشروعنا قد تحقق، ربما كان هناك سبب يدعونا أن نتوقع بدرجة معينة أن نستريح من القلق. إلا أن هذا لم يكن حالنا. الحقيقة هي أن ما حققناه حتى الآن قد يضيع سدى ما لم يعلم به الناس، ويجب القيام بهذه المهمة بأقل إهدار للوقت قدر المستطاع. فنحن أول من يهمه أن يصل إلى السوق بكل تأكيد. فالاحتمال، بدون شك، أننا هنا في الوقت المناسب؛ ومن ذلك، لا يزال هذا مجرد احتمال. من ناحية أخرى، كان من المؤكد تماما أن أمامنا رحلة طولها ٢.٤٠٠ ميل بحري إلى هوبرات، وهو الميناء الذي عينه كالميناء الوسيط الأول؛ وكان من شبه المؤكد أيضا أن هذه الرحلة ستكون بطيئة ومزعجة على حد سواء. عام مضى على رحلتنا في بحر روس والتي باتت تشبه النزهة البحرية السارة، لكن كان ذلك في منتصف الصيف. الآن نحن في شهر فبراير وفصل الخريف يدق الأبواب. بالنسبة إلى حزام الجليد العائم يعتقد الكابتن نيلسن أنه لن يتسبب في تأخيرنا في المستقبل. فقد اكتشف طريقا مبتكرا وناجحا لعبوره! كان يبدو هذا كتأكيد جرئ نوعا ما منه، لكن، كما سنرى لاحقا فقد على عند كلمته بشكل جيد. أن أسوأ المتاعب التي قد تواجهنا تتمثل في الرياح الغربية، حيث علينا أن نتقبل هذه المرة أن نتعرض لاحتمال الهزيمة غير السار. فرق خطوط الطول بين خليج الحيتان (باي أو ويلز) وهوبرات حوالي خمسين درجة. لو أمكن لنا أن نقطع هذه الفرق في خطوط الطول من خطوط العرض التي كنا فيها، مع العلم أن درجة خط الطول هي فقط حوالي ثلاثة عشر ميلا بحريا، لقمنا بذلك في لمح البصر؛ لكن السلاسل الجبلية العملاقة الموجودة في شمال فيكتوريا لاند كانت عقبة كؤود. ينبغي علينا أولا أن نتبع المسار الشمالي حتى نستدير حول نقطة الحدود الشمالية للقارة القطبية الجنوبية، كيب أدير، وجزر بالينري إلى الشمال منها. حتى هذه اللحظة لم يكن الطريق مفتوح أمامنا للسفر ناحية الغرب؛ لكن علينا أن نكون في منطقة تكون فيها الرياح معدومة في مقابلنا على جميع الاحتمالات، بالنسبة إلى

قيادة الفرام –شكرا! فكل فرد على متنها يعرف ما يكفي من الظروف تمكنه أن يدري دراية تامة بما ينتظرنا وأنا كنت متيقن تماما أن أفكار الجميع كانت تتركز على كيف يمكن لنا أن نهزم الصعوبات القادمة بأسرع وأفضل طريقة ممكنة. كان هناك هدف كبير ومشترك لا يزال ملزما وقد يظل ملزما لنا جميعا في جهودنا المشتركة.

من بين ما وصلنا من أخبار التي تلقيناها للتو من العالم الخارجي رسالة تقول أن هناك رحلة استكشافية استرالية إلى القطب الجنوبي تحت قيادة الدكتور دوجلاس ماوسون يسعدها أن تأخذ بعض من كلابنا أن كان عندنا فائض. كانت قاعدة هذه الرحلة الاستكشافية هي ميناء هوبارت، وعلى قدر ما يصدق هذا، فإنه يناسبنا بشكل جيد جدا. فقد سنحت لنا الفرصة أن نسدى هذه الخدمة الصغير لزملائنا الذين نكن لهم كل تقدير. عند مغادرتنا الحاجز كان بإمكاننا أن نرى لدينا مجموعة من تسعة وثلاثون كلبا، الكثير منها كبرت أثناء إقامتنا التي دامت عاما هناك؛ حوالي النصف منهم نجى خلال الرحلة الطويلة من النرويج وأحد عشر كلبا منهم كانوا معنا في القطب الجنوبي. كنا ننوى فقط أن نحتفظ بعدد مناسب منها كاسلاف لمجموعة جديدة تذهب معنا في رحلتنا الوشيكة إلى المحيط المتجمد الشمالي، لكن طلب الدكتور ماوسون جعلنا نحمل التسعة وثلاثون كلبا على متن المركب معنا. بالنسبة لهذه الكلاب، إذا لم يحدث شيئ غير متوقع، كان ينبغي علينا أن نسلم أحد وعشرون كلبا له. عندما تم إنزال آخر شحنة على ظهر المركب، لم يبقى إلا أن نضع الكلاب في جانب من السفينة بعدها كنا مستعدين للانطلاق. كان من الغريب جدا أن نرى كيف يبدو عدد كبير من المحاربين القدامى في طريقهم أنهم في المنزل مرة أخرى على ظهر الفرام. كلب ويستينج الشجاع، الزعيم العجوز، ومعه أثنين من معاونيه، سوجين وأرني، قاموا على الفور بالسيطرة على مواقعهم حيث كانوا واقفين لأيام طوال في رحلة الجنوب – في ميمنة الصاري الرئيسي؛ كان التوأمان، ميليوس ورينج، الكلبين المفضلين لدى

هيلمير هانسن قد بدأ في ممارسة ألعابهم في زاوية صدارة السفينة وكأن شيئا لم يحدث. منشغلين بالنظر إلى هذين الوغدين المرحين لم يفكر أحد أنهما داسا على مقدمتي القافلتين اللذين ذهبا ورجعا معنا من وإلى القطب. كان هناك كلبا واحدا منعزلا يمكن أن تراه يجول وحيدا ومتحفظا وفي بحث مستمر لا ينم عن راحة. كان هذا هو رائد فريق كلاب بجالاند. كان غير متأثر بأي محاولات اقتراب منه؛ لا أحد يستطيع أن يأخذ مكان رفيقه وصديقة المفقود فريثجوف، الذي وجد من أمعاء رفاقه قبرا له قبل عدة مئات من الأميال من الحاجز.

لم يمض وقت طويل حتى كان الكلب الأخير طعاما على متن المركب، تم تحرير خطافي الجليد، رن التليغراف الموجود في غرفة المحرك، أنطلق المركب في الحال ليبعد بنا عن أي نقطة أتصال قريبة من المنزل في خليج الحيتان. كان وداعنا لهذا المرفأ الدافئ كقفزة من عالم إلى آخر؛ علق الضباب فوقنا بكثافة ككثافة العصيدة، مخفيا معه جميع المعالم المحيطة خلف ستاره المندي، حتى ونحن واقفين. بعد مضي ثلاث أو أربع ساعات؛ أنقشع الضباب بطريقة مفاجئة جدا، في تلك الأثناء كانت السماء مرصعة بالنجوم من وراء جانب الضباب لا يزال ماثلا مثل الحائط؛ ومن خلفه كانت البانوراما، التي نعرف أنها كان ستبدو أشد روعة في الطقس الصافي، والتي كان ينبغي علينا أن نعلق عيوننا بها بكل سرور قدر ما أمكن لنا، والتي في النهاية حجبت تماما.

قد يكون نفس المسار الذي قدنا السفينة فيه عندما كنا داخلين قبل عام هو أأمن طريق يمكن أن نأخذه في الاتجاه المقابل الآن ونحن خارجين. بقيت الخطوط الرئيسية للخليج لم تتغير على الاطلاق خلال السنة التي انقضت. حتى أن النقطة الأشد بروزا للجدار التي كانت تقع في الغرب من الخليج، خليج مانز هيد، كانت تقف في سكون في مكانها القديم. كان يبدو عليها كما لو أنها ليست في عجلة من أمرها لتتحرك. على الأرجح كانت ستبقى حيث هي لأيام طويلة بعد ذلك، حيث أن أي حركة لكتلة

الجليد كانت سيؤثر على الطرف الداخلي للخليج، على أي حال أنها خفيفة جدا. كان هناك فقط اختلاف نوعا ما في حالة الأشياء هذا العام عن سابقه. ففي عام ١٩١١ كان الجزء الأكبر من الخليج خالي من الجليد البحري في وقت مبكر من تاريخ الرابع عشر من يناير، أما في ١٩١٢ فلا تجد مسافة خالية حتى بعد مرور أسبوعين آخرين. ظلت الصفائح الجليدية قائمة في مكانها بعناد حتى فتح النسيم الشمالي الشرقي الجديد، الذي ظهرت بوادره في نفس اليوم لعودة المجموعة الجنوبية، قناة من المياه المفتوحة بسرعة. من المحتمل أنه لم يكن سيحدث تكسير للثلج في لحظة أكثر ملاءمة من تلك؛ لقد وفر علينا النسيم الذي نتحدث عنه قدرا كبيرا من الوقت والعناء، حيث أن مسافة الطريق إلى المكان الذي توجد فيه فرام قبل تكسير الثلج تبلغ خمس مرات كالمسافة التي علينا الآن أن نقطعها. فرق الأسبوعين هذا وقت اختفاء الثلج في فصلين الصيف أوضح لنا كم كنا محظوظين في اختيار هذا العام بالتحديد – ١٩١١ – لنرسو هنا. فالعمل الذي قمنا به خلال الثلاثة أسابيع في عام ١٩١١، بفضل التكسير المبكر للثلج، كان سيستغرق منا ضعف الوقت بالتأكيد في عام ١٩١٢، وكان من الممكن أن يسبب لنا صعوبة ومتاعب أكبر بكثير.

الضباب الكثيف الذي ذكرت أنه كان يجسم فوق خليج الحيتان عندما غادرناه منعنا أيضا من رؤية ماذا كان يفعل أصدقاؤنا اليابانيون. شرعت كينان مارو في الإبحار بصحبة الفرام أثناء عاصفة السابع والعشرين من يناير ومنذ ذلك الوقت لم نراهما. أعضاء الرحلة الاستكشافية هؤلاء الذين تركناهم خلفنا في خيمة على حافة الحاجز إلى الشمال من فراهمهايم عادوا أيضا متأخرين جدا. في اليوم الذي غادرنا فيه المكان، قام أحد من جماعتنا بعمل مقابلة شخصية مع أثنين من الغرباء. ذهب بريسترود لإحضار العلم الذي كان قد نصب في كيب مانز هيد كإشارة للفرام على أن الجميع قد عاد. بجانب العلم كانت هناك خيمة تم نصبها والتي كانت مخصصة كمأوى لرجل المراقبة، في حالة تأخرت الفرام. عندما

وصل بريسترود إلى هناك كان بلا شك قد حصلت له مفاجأة قليلا ليجد نفسه وجها إلى وجه مع أثنين من اليابانيين اللذين كانا منشغلين في تفتيش خيمتنا ومحتوياتها والتي لم يكن بها إلا أكياس النوم ووابور غاز للطبخ. بدأ اليابانيون الحديث بعبارات مشجعة عن الطقس الجميل والثلج الكثير؛ وعندما عبر رجلنا عن موافته التامة لهذه الحقائق غير القابلة للخلاف، حاول أن يحصل منهما على معلومات عن أمور أكثر فائدة. أخبره الغريبين أنهما اللذان يسكنان الخيمة في الوقت الحالي الموجودة عند حافة الحاجز وأن أثنين من رفقاؤهم ذهبا في رحلة إلى الحاجز لتسجيل ملاحظات تتعلق بالأرصاد الجوية وأنهما سيكونا هناك لمدة أسبوع. وأن سفينة كينان مارو ذهبت في رحلة بحرية أخرى صوب كينج إدورد لاند. وعلى حد علمهما، كان من المقرر لتلك السفينة أن تعود قبل العاشر من فبراير وأن كل أفراد الرحلة الاستكشافية يجب أن يكونا على متن السفينة للإبحار إلى الشمال. دعى بريسترود هذين المعرفة الجديدين لزيارته في فرامهايم، وقال لها كلما كان أسرع كان أفضل؛ بالنسبة لهم فقد تأخر وصولهم فترة طويلة جدا إلا أننا كان بوسعنا أن ننتظرهما. إذا كانوا لأي وقت في فرامهايم، سيكون بإمكانهم بدرجة أو أخرى أن يشهدوا أننا بذلنا أقصى ما بوسعنا لجعل الأشياء مريحة لأي شخص يأتي بعدنا.

عندما ذال الضباب وجدنا أنفسنا محاطين من كل اتجاه بواسطة بحر مفتوح خالي تماما من أي جليد على جميع الجوانب. كان لون البحر أزرق داكن، وكانت السماء من فوقنا مترعة وداكنة وكان ذلك المشهد من المشاهد المعدودة التي أبهجت عيوننا. بالنسبة لأعضاء رؤيتنا فقد كان المشهد يمثل راحة حقيقية بمجرد النظر إلى الأشياء المحيطة بنا بألوانها الداكنة التي تسود المكان. لشهور كنا نحلق في بحر من اللون الأبيض الذي يسبب الجهز من شدة الضوء، وكانت الوسائل الصناعية التي نرتديها بصفة مستمرة هي التي تحمي أعيينا من فيضان الضوء الزائد. وقد جرت كقاعدة من الضروري اتباعها كي نعرض بؤبؤ العين للحد الأدنى من

الضوء أن نقرب الجفون إلى بعضهما. الآن بإمكاننا مرة أخرى أن ننظر إلى العالم بعيون مفتوحة، حرفيا "بدون طرفة"؛ حتى لو شكل شيء مألوف مثل هذا تجربة في حياة الشخص. مرة أخرى يظهر بحر روس في أبهى جانب منه. ساعدتنا دفعة من الرياح الغربية الجنوبية على استخدام الأشرعة وبعد مرور يومين كنا على بعد مائتي ميل من الحاجز. مسافة متواضعة مثل هذه كانت تبدو في حد نفسها مهيبة في عيوننا عندما كنا ننظر إليها على الخريطة. لا بد أن نتذكر أنه عندما كنا نستخدم وسائل النقل على الأرض كانت تلك المسافة تستغرق مسيرات صعبة لعدد من الأيام كي نتمكن فقط من تغطية مسافة مئاتين ميل جغرافي.

قام نيلسين بوضع حدود حزام الجليد العائم على الخريطة أثناء الممرات الثلاث التي قامت بها الفرام بالفعل. تم التأكد من الفرضية التي تقول أن المساحات الخالية من الجليد المتوفرة دائما ما توجد في منطقة خط الطول ١٥٠. لقد حدثت تغيرات طفيفة فقط في موقع القناة وطبقا لخبرة نيلسين فإن ذلك حدث بفعل التغيرات في اتجاه الرياح. كان يجد دائما أنه الاستدارة ومحاولة وضع السفينة في مهب الرياح يفيا بالغرض عندما تظهر حزم الجليد علامات تدل على أن المسار مغلق من أمامه. كان هذا النمط من الإجراء يؤثر بشكل طبيعي على المسار فيجعله يبدو أنه معوج إلى حد ما، لكن عوضا عن ذلك كان دائما ما يؤدي إلى العثور على مياه مفتوحة. وصلنا في هذه الرحلة إلى طرف حزام مساحة الجليد الواسعة بعد ثلاثة أيام من مغادرة الحاجز. وقد ثبت أن موقع الحزام كان قريبا جدا بنفس المسافة كما في المسارات السابقة. بعد أن شققنا مسارنا لبعض ساعات أصبح الجليد كثيفا جدا لدرجة أنه كان يبدو من السيء التقدم فيه إلى مسافة أبعد. الآن حان الوقت كي يجرب نيلسين طريقته: الرياح، التي كانت، بالمناسبة، خفيفة جدا وكانت تأتي من الغرب مباشرة وتم توجيه الدفع نحو الميمنة وتم تحويل مقدمة السفينة نحو الغرب. لمدة لا بأس بها كنا نتجه نحول الجنوب بصورة مباشرة لكن ثبت بعد ذلك أن هذا الدوران

الطويل جدا كان عبثا؛ بعد بعد شققنا طريقنا لنتصدى للرياح لعدد قليل من الساعات عثرنا على مسلحات مفتوحة كثيرة. إن كنا قد سلكنا طريقنا كما بدأنا لم يكن أبدا من المستحيل أن نتأخر كل هذا الوقت الطويل وأمامنا مسار خالي على بعد أميال قليلة.

بعد أن اتممنا هذا المنعطف الأول الطويل تفادينا أن نضطر إلى القيام بالمزيد منه في المستقبل. استمر الجليد في الركود وفي السادس من فبراير عرفنا من الموج المتزايد بسرعة أننا تدبرنا أمر الجليد العائم القطبي الجنوبي إلى ما شاء الله. أشك أننا رأينا فقمة واحدة أثناء مسارنا عبر الحزام الجليدي هذه المرة، وإن حدث ورأينا واحدة فنادرا وبصعوبة كان يتاح لنا الوقت لرميها. كان معنا وفرة من الطعام الجيد هذه المرة لكل من الرجال والكلاب، دون الحاجة للجوء إلى بيف الفقمة. بالنسبة للكلاب فقد جلبنا معنا باقي المخزون من لحم الكلاب المقدد الممتاز، ولم يكن بالقدر القليل. إلى جانب ذلك كان معنا مقدار لا بأس به من السمك المجفف. كانوا يتناولون السمك واللحم المقدد بالتبادل يوما بعد يوم. باتباع هذا النظام الغذائي ظلت الكلاب بتلك الحالة الممتازة حتى عندما وصلنا إلى ميناء هوبرات طرحوا معظم فرو الشتاء الخشن وبدوا كأنهم كانوا ينعمون برغد العيش لسنة.

علم تسعتنا الذين أنضموا إلى السفينة أن رفاقنا الموجودين على متن السفينة أحضروا معهم طوال الطريق من بيونس أيرس خنازير سمينة كانت تنعم في حظيرتها الموجودة على النصف الأخير من السفينة؛ بالإضافة إلى هؤلاء كان هناك ثلاثة أبدان جميلة لخراف معلقة في حجرة الورشة. لا تخفي سرا إن قلنا أننا كنا نقدر رغد العيش غير المتوقع هذا. لا شك أن بيف الفقمات قام بدور ممتاز لكن هذا لم يمنع أن لحم الضأن المشوي ولحم الخنزير كان تغييرا مرحب به خصوصا أنهما كانا لنا بمثابة مفاجأة كاملة. بالنسبة لي لم أظن أن أحد منا كان يحسب أن هناك احتمال الحصول على لحم طازج قبل العودة مرة أخرى إلى المدنية.

عند وصول الفرام إلى خليج الحيتان كان على متنها أحد عشر رجلا، أول عن آخر. غير كوتشين ونودتفيدت اللذان ذهبا إلى الوطن من بيونس أيريس عندما كانت السفينة هناك في خريف عام ١٩١١، التحق بالسفينة ثلاثة رجال – وهم، هالفورسن وأولسن وستيلر؛ الرجلين الأولين من بيرجن؛ وستيلر كان ألمانيا عاش عدة سنوات في النرويج ويتحدث النرويجية كمواطن أصلي.

كان الرجال الثلاثة فاعلين وودودين بشكل رائع؛ كان من دواعي السرور أن يكون لك تعامل معهم. يمكن أن أتجرأ على القول أنهم أيضا أحسوا أنهم لم يشعروا بالغربة وهم بصحبتنا؛ لم ينضموا إليها بالفعل حتى رست الفرام في الميناء الأول لكنهم ظلوا على متنها طوال الطريق إلى بيونس أيرس ومن المؤكد أنهم سيذهبون معنا إلى مسافة أبعد. عندما صعدت المجموعة التي كانت على الشاطئ على متن السفينة، أتخذ الملازم بريسترود موقعه القديم كضابط أول؛ وشرع الباقين على الفور في ممارسة خدمتهم. إجمالا، كان عددنا الآن على متن السفينة عشرون رجلا وبعد أن أبحرت الفرام لسنة وبها نقص في الأيدى العاملة يمكن القول الآن أن طاقمها بالكامل عاد مرة أخرى. لم يكن عندنا في هذه الرحلة عملا خاصا سوى عمل البحر الروتيني، وطالما كان الطقس معتدلا كنا نعيش حياة هادئة نسبيا على متن السفينة. لكن كانت تمر ساعات المشاهدة على ظهر السفينة بسرعة كافية، أظن أنه كان هناك مادة خصبة تثري العديد من الدردشات الطويلة في الوقت الحالي. فإن كنا نحن الذين كانوا على الأرض قد أظهرنا درجة عالية من الفضول لمعرفة ماذا كان يجري في العالم فإن المجموعة التي كانت في البحر كانوا شديدي التوق لمعرفة كل المعلومات عن كل تفصيلة من تفاصيل إقامتنا التي دامت سنة كاملة عند الحاجز. على الشخص أن يكون قد مر بتجربة مشابهة حتى يتمكن من تكوين فكرة عن وابل الأسئلة الذي أمطر به الشخص في مناسبة كتلك. تم تقديم كل ما لا نفقهه في الفصول السابقة بالتفصيل. لعله لم يهمنا

كثيرا من الأخبار التي سمعناها عن العالم الخارجي إلا القصة المتعلقة بالكيفية التي استقبل بها خبر حدوث تغيير في خطة الرحلة الاستكشافية في الوطن وفي الخارج.

كان لا بد من مرور أسبوع على الأقل قبل أن ينحسر أي مد كبير في فيضان الأسئلة والأجوبة. مر هذا الأسبوع سريعا؛ ربما بصورة أسرع مما كنا نعتني في الحقيقة، حيث ثبت أن الفرام غير قادرة بالفعل على مسايرة الوقت. ظلت حالة الطقس جيدة جدا لكن ليس تماما بنفس الطريقة التي كنا نتمناها. لقد حسبنا أن الرياح الغربية الجنوبية والرياح الشرقية، اللتان كثيرا ما هبتا حول فرامهايم، قد يعلنا على أنفسهما في بحر روس أيضا، لكن من الواضح أنهم غفلوا عن ذلك بالكلية.

كانت تهب علينا رياح قليلة وفي أحيان أخرى كانت تتوقف، كانت الرياح التي تهب عبارة عن رياح خفيفة مائلة تأتي من الشمال تكفي لتأخير سفينتنا القديمة الأصلية. كان من المستحيل أخذ أي ترصيدات في الأيام الثمانية الأولى، كانت السماء ملبدة بالغيوم باستمرار. إن حدث مصادفة أن سأل أحدهم ربان السفينة عن موقعنا، كان يجيب في المعتاد أن الشيء الوحيد الذي يمكن أن يقوله بكل تأكيد هو أننا في بحر روس. إلا أنه تم تحديد موقعنا إلى شمال كيب أدير بالضبط وفقا لترصيد جيد نوعا ما تم أخذه في ظهيرة السابع من فبراير وبناءا عليه كنا وراء حدود القارة القطبية الجنوبية.

في طريقنا نحو الشمال مررنا بكيب أدير بمسافة أكبر بقليل من التي يمكن تغطيتها في يوم جيد من الإبحار؛ لكن رغبتنا في عمل هذا الدوران افسح المجال أمام تحقيق الهدف الرئيسي – نحو الشمال، نحو الشمال بأسرع ما يمكن.

يوجد قدر كبير من الرياح في العادة في منطقة الأجراف الوعرة، وبالنسبة لكيب أدير فهي ليست أستثناءا في هذا الخصوص؛ فهي معروفة بإنها مركز الطقس السيء. لم نمر فقط بجانب الأجراف دون أن ننال من

الحب جانب؛ بل أيضا كانت الرياح محل ترحيب أكبر منا، حيث حدث أنها كانت تسلك نفس المسار الذي نأخذه. يومين من هبوب الرياح الجنوبية الشرقية كانا السبب في اجتيازنا جزر باليني بسرعة نسبية، وفي التاسع من فبراير كان باستطاعتنا أن نهنئ بعضنا نظرا لخروجنا تماما من المنطقة الجنوبية المتجمدة. فمنذ عام استقبلنا خبر دخولنا إلى دائرة القارة القطبية الجنوبية بفرحة عندما كنا متجهين جنوبا؛ لعل هذه الفرحة لم تكن أقل من خبر عبورها هذه المرة في الاتجاه المعاكس.

في صخب الخروج من حي الشتاء البارد لم يكن هناك وقت لأي أحتفال بلم الشمل السعيد للمجموعة التي كانت على البر والأخرى التي كانت في البحر. بما أن هذه المناسبة للاحتفال قد ولت، كان علينا أن نبحث عن مناسبة أخرى وأتفقنا أن يوم خروجنا من المنطقة المتجمدة إلى المنطقة المعتدلة يعتبر سببا جيدا جدا للاحتفال. كان الجزء التحضيري لبرنامج الاحتفال بسيط للغاية؛ كوب من القهوة الإضافي معه كوب من شراب البنش والسيجار وسماع بعض الموسيقى على الفونوغراف. فونوغرافنا القيم لم يقدم شيء جديد بالنسبة لنا نحن التسعة الذين قضينا الشتاء في فرامهايم؛ فنحن نحفظ مجموعة الموسيقى عن ظهر قلب؛ لكن الأنغام المعروفة جيدا أيقظت العديد من ذكريات أمسيات أيام السبت السارة حول مائدة المشروبات الساخنة في منزلنا المريح هناك عند رأس وادي الحيتان – تلك الذكريات التي لا نخجل من استحضارها. أما على متن الفرام فلم تسمع موسيقى الفونوغراف منذ عشية عيد الميلاد عام ١٩١٠ لذلك تجد أفراد مجموعة البحر سعداء جدا بها ويطلبون إعادتها أكثر من مرة.

خارج إطار البرنامج الذي كنا نتعامل معه بعدد إضافي عن طريق مغني قام بتقليد الفونوغراف باستخدام مكبر صوت كبير حتى يعوض القصور في صوته – وفق قوله. اختفى وراء الستارة الموجودة في كابينة الكابتن

نيلسن وبدأ من خلال مكبر الصوت يغني قصيدة قصيرة كان الهدف منها وصف الحياة عند الحاجز من منطلق فكاهي. نجح أيما نجاح في ذلك ومرة أخرى ضحكنا مما كان له أثرا جيدا علينا. بالطبع مثل هذا الأداء يكون له قيمته لمن شارك فيه أو كان على دراية بالأحداث التي يشير إليها. بالنسبة إلى أي غريب عن الحدث فقد يكون اهتمامه برؤية مدى استمتاعنا وطبعا لم يخل الأمر من إلقاء بعض بيوت الشعر.

يجب أن نذكر ملاحظة هنا أن مؤلف الأبيات كتب قصيدته على فرض أنه كان ينبغي أن نتقابل في عيد الميلاد ومن ثم قدم تلك القصيدة عن اللحظة التي نتخيل فيها أنفسنا نحتفل بتلك المناسبة. من ناحيتنا لم نجد صعوبة في التجاوب مع طلبه:

حسنا، ها نحن قد تجمعنا لنبتهج مرة أخرى، بعضنا أتى من قبالة المحيط – والبعض الآخر من قبالة الشاطئ. عام أنقضى منذ أن تقابلنا آخر مرة وها نحن عدنا بأمان وسلامة، فدع الهموم وهيا نعقد الأيادي وندور. عيد ميلاد مجيد، عيد ميلاد سعيد! هيا ناولني الكأس الفياض، هيا املأ كل الكؤوس، دعنا نملأ "الأشرعة" قليلا. للجميع سأقول لما هذا – هذا في سبيل بلادنا؛ إن ترنحت قليلا في المسير، كان هذا في سبيل بلادنا.

سأحكي الآن يا بحارة عن الوقت الذي قضيناه: الشتاء – حسنا، لم يكن طويلا، كان العمل كثيرا. كنا نحفر في الثلج وننام – كم كنا بارعين في ذلك – كنا نأكل أيضا – ولا تعجب أن نبدو بدناء قليلا. لم يكن عندنا كعك للإفطار ولا هيرماتك ولا فطيرة لحم الضأن ولا راجوتس ولا بهارات، لأن هذا هو طريق ليندستروم. لكن سأقول لك لما كان كل هذا – كان هذا في سبيل بلادنا، وحتى إن جهزنا أنفسنا بالأطعمة الطيبة، فهو في سبيل بلادنا.

زارنا سبتمبر وقد انتهينا – تلك الرحلة كانت صعبة جدا: توقفت بُصلنا عن العمل، كانت تظن أن الجو بارد بما يكفي. شراب البراندي في

كوب الكابتن تحول إلى قطعة ثلج؛ أجمعنا الرأي، كل من الرجال والكلاب، أن هذا الطقس لم يكن جميلا. عدنا أدراجنا إلى فرامهايم لنذيب أكعبنا وأصابعنا؛ لا يتمتع المرء بصحة جيدة أن كانت الأقدام والأصابع مجمدة. لكن لما كان كل هذا – كان هذا في سبيل بلادنا، ونحن لا يهمنا قرصة البرد إن كان ذلك في سبيل بلادنا.

سطعت الشمس ودفئتنا قليلا يوما بعد يوم؛ خرج الآن خمسة رجال مرة أخرى وكدوا في السير على طول الطريق الجنوبي. ذلك الوقت الذي غزونا فيه الثلج والجليد، وسمع كل العالم أن علم النرويج يرفف فوق القطب. الآن يا أولاد هيا نسمع نخب مدوي لمن قادهم نحو الجبال والسهول، قادهم نحو الهدف الذي قصدوه وها هم مرة أخرى عائدون بسلامة. لكن لما كل هذا – ذلك كان في سبيل بلادنا؛ إن اجتازنا الصعب وهزمنا القطب، كان في سبيل بلادنا.

كان يمكن على الفور ملاحظة بطريقة أو بأخرى أننا وصلنا إلى خطوط العرض حيث يتخذ الوجود وجها مختلفا عما تعودنا عليه عند خط عرض ستة وستون متوازي. كان إحدى التغيرات المرحب بها هي الارتفاع في درجة الحرارة؛ يرتفع الآن خط الزئبق فوق نقطة التجمد، وهؤلاء الأشخاص الذين كانوا على السفينة كانوا بدرجة أو بأخرى قد خلعوا ملابسهم وطرحوا ما تبقى من الزي القطبي ليرتدوا ملابس أكثر ملائمة للطقس. كان هؤلاء الذين طال انتظارهم قبل حدوث التغيير في الحرارة هم المجموعة التي كانت على الأرض. الكثير من الناس الذين يتخيلون أن البقاء الطويل في المناطق القطبية يجعل الأنسان أقل تأثرا بالبرد فهم مخطئين تماما. العكس هو أكثر احتمالا من حيث الصحة. الإنسان الذي بقي بعض الوقت في مكان درجة جرارته اليومية تنخفض لتصل إلى الخمسين تحت الصفر أو أكثر من ذلك لن يقلق نفسه كثيرا بشأن البرد طالما أنه يرتدي ملابس جيدة وقابلة للاستعمال في مثل هذه الظروف. دع نفس الشخص يرتدي ملابس عادية ولكن فجأة ضعه في شوارع

كريستيانيا في يوم شتوي تصل درجة حرارته إلى ثلاثين أو خمسة وثلاثون من الصقيع ستجد أسنان المسكين تصطك في بعضها البعض حتى تسقط في فمه. الحقيقة أن في رحلة القطب يحمي الشخص نفسه بفاعلية من البرد وعندما يعود من هناك ويجد نفسه يتجول بما عليه من حماية يوفرها له معطفة والياقة اليابسة والقبعة الصلبة – حسنا، سيشعر ذلك الشخص حينئذ ما أعنيه.

من نتائج الفرق بين خطوط العرض الأقل ترحيبا ظلمة الليل. قد يعترف أن ضوء النهار المتواصل قد يكون من الأمور غير السارة على المدى البعيد في على البر لكن على سطح سفينة قد يكون النهار المتواصل من الأمور المفضلة، إن حصل مثل هذا الشيء. حتى وإن كنا الآن نعتبر أننا قد انتهينا من الكتلة الرئيسية من جليد القطب الجنوبي، فلا نزال مضرين أن نحسب حساب القواعد الأمامية غير المرغوب بها له – أقصد جبال الجليد. من الملاحظ بالفعل أن المراقب المتمرس يستطيع أن يرى وميض واحد من تلك الجبال الكبيرة على مسافة في الظلام، لكن عندما يتعلق الأمر بأحد تلك الكتل الأصغر حجما التي يرتفع منها جزء قليل فوق السطح، فلا يوجد هذا البريق ومن ثم فلا يكون هناك أي تحذير. تشكل كتلة صغيرة مثل هذه من الخطورة ما يشكله جبل جليدي كبير؛ يمكن أن تعاني السفينة من مخاطر مماثلة في حالة حدوث اصطدام قوي محتمل يؤدي إلى حدوث فتحة في مقدمة السفينة أو حمل حبال الاشرعة والصواري بعيدا. كما أنه في مثل هذه المناطق المتغيرة الحرارة حيث درجة حرارة المياه تكون دائما منخفضة جدا تجد الترمومتر من الأدوات المشكوك في صحتها جدا.

المياه التي نبحر فيها ما زالت غير معروفة بشكل جيد بالنسبة إلى استبعاد احتمال مقابلة أرض. الكابتن كوكبيك الذي تولى قيادة واحدة من سفة الإغاثة التي تم إرسالها إلى الجنوب أثناء الرحلة الاستكشافية الأولى لسكوت، قابل بالصدفة جزيزة صغيرة إلى الشرق من كيب أديرا؛ تم تسميه

هذه الجزيزة على أسمه بعد ذلك وأطلق عليها جزيرة كابتن سكوت. عندما وجد كابتن كوكبيك على اكتشافه، كان يبحر في المسار الذي أتخذته السفن التي كانت وجهتها في حدود بحر روس. لا زال الاحتمال خروجنا من مسارنا قائما، سواء طوعا أو كرها، قد يجد الشخص مجموعات أكثر من الجزر في ذلك الجزء من البحر.

على الخرائط الحالية لمنطقة جنوب المحيط الهادي تم تمييز جزر أو مجموعات جزر عدة، موقع كل منها ليس محل شك قليلا. واحدة من هذه الجزر هي – جزيرة الزمرد (إميرالد إيلاند) – كما توضح الخريطة تقع تقريبا في المسار الذي نسلكه للوصول إلى ميناء هوبرات بشكل مباشر. على الرغم من ذلك فقد أبحر كابتن ديفيد الذي تولى قيادة سفينة شاكليتون، النيمرود، قاصدا وطنه إنجلترا في عام ١٩٠٩، أبحر بصورة مباشرة صوب النقطة التي كان من المفترض أن تقع عندها جزيرة الزمرد وفقا للخريطة ولكن لم يرى أي شيء منها. إذا وجدت هذه الجزيرة على أية حال فقد يكون تم وضعها بشكل خاطئ على الخريطة. لكي نتجنب القرب منها خصوصا أننا لا نزال أمامنا الكثير من المسافة للوصول قدر الإمكان إلى الغرب قبل الدخول في حزام الرياح الغربية فقد واصلنا الإبحار قدر ما نستطيع لمدة أسبوع شاق أو ربما لقرابة أسبوعين؛ لكن يبدو أن هبوب الرياح الشمالية الغربية لمدة طويلة ستقودنا إلى احتمالين غير مرحب بهما، أولهما قيادتنا نحو الشرق أو أن نجد أنفسنا منساقين إلى أسفل حيث الجليد العائم ناحية الشمال من أرض ويلكس.

كانت هذه الأسابيع بمثابة امتحان قاسي جدا لصبر للعديد ممن كان على متن السفينة ممن كانوا يحترقون شوقا للوصول إلى البر ومعهم أخبار مثل التي معنا أو ربما لسماع أخبار في المقابل. عندما انقضت الأسابيع الثلاث الأول من شهر فبراير، لم نكن قد وصلنا إلى أكثر من منتصف الطريق؛ كان من المفترض أن نصل في هذا الموعد لو كانت الظروف مؤاتية. كان المتفائلون يواسوننا بالقول عاجلا أم آجلا فسيحدث تغيير

للأفضل وأنه لا بد آتي. حملتنا هبة خفيفة من رياح مؤاتية إلى مهب الرياح لكل من جزيرة الزمرد غير المتحقق من وجودها ومجموعة ماكواري المتحقق من وجودها إلى الشمال منها. الشيء بالشيء يذكر، في أثناء مرورنا بجوار الجزر رأينا أبعد محطة تليغراف لاسلكية جنوبية في العالم تقع على واحدة من جزر ماكواري. يعود تركيبها إلى رحلة الدكتور ماوسون الاستكشافية للقارة القطبية الجنوبية نفسها، لكن، على حد المعلوم، لم يتم الانتهاء من التوصيل في العام الأول.

بينما كنا في هذا الحظ وصلنا حتى الآن إلى الغرب حيث كنا نقترب في مسارنا إلى هوبرات بسرعة ناحية الشمال مباشرة. من ناحية أخرى، كان علينا السعي وراء إمكانية استغلال الرياح السائدة، أقصد الرياح الغربية. هذه الرياح تتغير من عام إلى آخر، ولقد وجدناها لم تتغير كثيرا مثلما أعتدنا عليها من قبل: هبات نسيم متكررة وشديدة إلى الشمال الغربي، وتوقفت بوجه عام لمدة أثنا عشر ساعة ثم زوت مغيرة اتجاهها إلى الغرب أو الجنوب الغربي. لم يكن لدينا ما نقوم به غير الرقاد بجوار الشراع الملموم أثناء هبوب الرياح الغربية- إلى الشمال؛ وعندما كانت الرياح تغير اتجاهها، كنا نعاود السير في الاتجاه الصحيح لعدد قليل من الساعات. بهذه الطريقة كنا نزحف خطوة بخطوة باتجاه الشمال إلى حيث وجهتنا. كان الإبحار بلا شك بطيء جدا؛ لكن كان مسار رحلتنا على الخريطة يطول قليلا كل يوم وعلى نهاية شهر فبراير كانت المسافة بيننا وبين النقطة الجنوبية لتسمانيا قد تقلصت إلى أبعاد متواضعة جدا.

مع استمرار موجات الرياح الغربية الثقيلة، كانت الفرام وبخفتها التي هي عليها الآن تقاوم الدوران وقد كان هذا بصدق يعني جهدا كبيرا. قد تسبب لنا هذا الدوران في حصول ضرر قليل لتجهيزات السفينة من حبال الاشرعة والصواري، تم كسر صاري الشراع الرئيسي؛ على الرغم من ذلك فذلك لم يوقفنا وقتا طويلا. تم استبدال الصاري المكسور بعارضة احتياطية.

تضاءلت أمالنا بالوصول قبل نهاية شهر فبراير إلى الصفر وأنقضى الربع الأول من شهر مارس قبل أن تأتي رحلتنا إلى نهايتها.

بعد ظهر يوم الرابع من مارس، بدى لنا أول لمحة من الأرض؛ لكن بما إن الطقس كان غير صافي تماما وكنا غير قادرين على تحديد خطوط الطول بالتأكيد منذ يومين، كنا غير واثقين من أي نقطة من تاسمانيا قد وصلنا إليها. لاستيضاح موقفنا، كان لا بد من اللجوء إلى وصف مختصر لخط الساحل. الزاوية الجنوبية لتاسمانيا تنحدر في ثلاثة جروف؛ في أقصى الشرق من هذه الجروف، يفصل بينهما فقط قناة ضيقة جدا، تقع جزيرة شاهقة ولا يمكن الوصول إليها بشكل واضح، تسمى جزيرة تاسمان. يمكن الوصول إليها على الرغم من ذلك من أعلاها – ٩٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر – وهي تقف مثل المنارة. النتوء الخليجي الأوسط يطلق عليه رأس تاسمان وبين هذا النتوء والنتوء الواقع ناحية الشرق يوجد لدينا خليج ستورم، والذي يشكل نقطة الوصول إلى هوبرات؛ هناك بالطبع يكون مسارنا. السؤال هو أي من الثلاثة رؤوس قد رأيناه. كان من الصعب أن نقرر بل مستحيل إلى حد ما، كان من غير واضح تحديد معالم الأرض في ظل الجو الضبابي؛ إضف إلى ذلك أن المكان كان غير معروف بالنسبة لنا حيث لم يكن أحد منا قد جاء إلى هذه الزاوية من العالم من قبل. حل الظلام وبدأ المطر الثقيل يتساقط بدون أن نرى أي شيء على الإطلاق، رقدنا هناك نتحسس طريقنا طوال الليل. مع ظهور ضوء النهار هبت رياح جنوبية غربية جديدة وحدفت معها معظم الأمطار، لذلك تمكنا مرة أخرى من رؤية الأرض. وقررنا أن ما رأيناه كان النتوء الخليجي الأوسط، رأس تاسمان، وببهجة بدأنا في توجيه مسارنا نحو خليج ستورم – حسب اعتقادنا. مع هبوب نسيم قوي وسريع بدأنا في الإبحار بخفة، بدى احتمال وصولنا إلى هوبرات خلال ساعات قليلة يبدو كيقين لا ريب فيه. جلسنا إلى طاولة الإفطار في الصالون الأمامي بهذا الشعور المريح، عندما

فُتح الباب بما يبدوكأنه عنف غير ضروري وظهر وجه الشخص المسؤول عن المراقبة في مدخل الباب قائلا: "نحن نتجه إلى جانب الرأس الخاطئ ،" كانت هذه رسالة شؤم واختفى الوجه. وداعا لخططنا السارة، وداعا لإفطارنا! وتوجه الجميع إلى سطح السفينة على الفور وعرف الجميع جيدا أن المعلومات المؤسفة كانت صيحيحة. لقد أخطأنا التقدير في المطر الكثيف. الآن زادت الرياح إلى هبوب شديد وبدأت في مطاردة سحابات المطر من أعالى قمم التلال وظهرت النقطة التي اعتقدنا أنها رأس تاسمان لنرى أمامنا الآن "المنارة". لقد كانت جزيرة تاسمان وبدلا من دخولنا إلى خليج ستورم فنحن الآن في عرض المحيط الهادي، بعيدين عن الجهة التي تهب منها الرياح صوب الأرض الرئيسية المغمورة.

لم يكن أمامنا شيء نفعله سوى أن نجد في محاولة العودة ادراجنا إلى الجهة التي تهب منها الرياح صوب هدفنا، على الرغم من أننا نعرف أنه من الناحية العملية قد يكون هذا عبسا. بدأ هبوب الرياح يشتد وتحول إلى عاصفة، وبدلا من إحراز أي تقدم، بذلنا كل ما بوسعنا من إمكانية للإنجراف إلى الجهة التي تهب منها الرياح؛ كان هذا هو النتيجة المعتادة لمحاولة توجيه الفرام. على الرغم من الضيق الذي أصابنا فقد شرعنا في عمل ما يمكننا القيام به، مستخدمين كل قدم مربع من قماش الشراع لوضع الفرام على المسار الصحيح وهي مبحرة بعكس الريح. بداية، كان يبدو كما لو كنا نستعيد سيطرتنا بطريقة أو أخرى، لكن عندما كانت المسافة تبتعد من الأرض وكانت الرياح تشتد أكثر، أظهرت المحامل التي أخذناها أننا كنا نخبط كخبط الدجاج.

في حوالي منتصف النهار كنا قد استدرنا ووقفنا في اتجاه الأرض مرة أخرى؛ بعد ذلك مباشرة هبت عاصفة مفاجئة أدت إلى تمزيق شراع السارية الأمامية إلى قطع؛ مع حدوث ذلك وجدنا أنفسنا مضطرين إلى لم الشراع الرئيسي، وإلا لما استغرق الأمر وقتا طويلا لنجد أنفسنا نذهب إلى الوراء، وكان سيحدث مزيد من الضرر للتجهيزات من الأشرعة والصواري. مع

العلم أن أي محاولة أخرى مع الأشرعة الباقية فكانت لن تجدي نفعا؛ لم يتبقى شيئا غير الاقتراب قدر المستطاع إلى من المنطقة المحجوبة من الرياح من الأرض ونحاول بواسطة مساعدة المحرك أن نحتفظ بمكاننا حتى يعتدل الطقس. يا له من هبوب للرياح بعد الظهر في ذلك اليوم! عاصفة تليها عاصفة كانت تتراقص من منحدرات التلال وتمزق الأحبال حتى أصبح المركب غير مستقر بالكامل. كانت المشاعر على المركب، كما هو متوقع، مغتاظة إلى حد ما ووجدت منفسا لها في تعبيرات مختلفة غير لطيفة. كانت الرياح والطقس والقدر والحياة عموما تهاجمنا بعنف، لكن نال منا هذا شيئا قليلا. شبة الجزيرة التي تفصلنا عن خليج ستورم لا زالت قائمة هناك ثابتة ولا تتزعزع واستمرت العاصفة كما لو أنها ليست في عجلة من أمرها حتى تدعنا نستدير. ضاع كل اليوم وجزء كبير من الليل بدون أن يتغير أي شيء. ليس حتى جاء صباح اليوم السادس حتى بدأت آمالنا في التحسن. أصبحت الرياح أخف واتجهت أكثر صوب الجنوب؛ كان هذا بالطبع هو المسار الذي علينا أن نسلكه، لكن لأننا كنا في قبالة الشاطئ مباشرة، حيث كانت المياة منبسطة تماما، نجحنا في شق طريقنا نزولا إلى جزيرة تاسمان قبل حلول الظلام. جاء الليل ومعه الهدوء ومنحنا فرصتنا. كان المحرك يعمل بشراسة ويقودنا تيار خفيف مؤات ليضعنا على مسارنا. عندما جاء فجر اليوم السابع كنا على نقف على بعد قبالة خليج ستورم ويمكننا أخيرا أن نعتبر أنفسنا أسياد الموقف.

كان يوما مشمسا وكانت وجوهنا تشع بروح المنافسة مع الشمس؛ تلاشت كل أثار الخنق التي كانت في اليومين الماضيين. على الفور بدأت الفرام هي أيضا تتألق وتشرق من جديد. الطلاء الأبيض الذي كان على سطحها عاد جديدا بفضل الماء والصابون المركز. وعاد دهان ريبولين جديدا كأنه جديد. وعندما رأي الرجال ذلك بدأ مظهرهم الخارجي أيضا يخضع لعملية تغيير مذهلة. تم استبدال السترات الأيسلندية و"الملابس التي تشبه البطاطين" من هورتين بتصميمات متنوعة ظلت حبيسة طيلة

عامين؛ حصدت الأمواس والمقصات حصدا وفيرا، ظهرت قباعات بربري الأنيقة لصانعها روني على معظم الرؤوس. إيفين ليندستروم الذي حتى هذا الوقت كان يحتل المرتبة الأولى بين المجموعة القادمة من البر كونه أثقل وأسمن وأوسخ عضو في الفريق ظهرت عليه أمارات لا تخطأها العين تدل على صلحه مع الماء.

في هذه الأثناء كنا نقترب من محطة إرشاد للسفن، بدء موتور صغير مدوي ينطلق وتأرجح بجانبنا. "هل تريد مرشد، يا كابتن؟" شعرت بشعور إيجابي عند سماع أول صوت بشري جديد على مسامعي. لقد تم تأسيس أول اتصال بالعالم الخارجي مرة أخرى. كان مرشد السفن – رجل عجوز رشيق الحركة يتمتع بروحة دعابة جيدة –عندما صعد على سطح سفينتنا، نظر حوله مندهشا وقال "لم أتخيل أبدا أن تكون الأشياء على متن سفينة قادمة من القطب الجنوبي بمثل هذه النظافة،" وأضاف؛ "ولم أعتقد بالنظر إلى مظهركم أنكم آتين من القارة القطبية الجنوبية. تبدون كما لو أنكم كنتم تقضون وقتا طيبا."كان بإمكاننا أن نؤكد له ذلك، لكن بالنسبة للباقي، لم تكن عندنا النية أن نسمح لأنفسنا أن يحصل منا على معلومات وكان باستطاعة الرجل العجوز أن يفهم ذلك. لكن لم يكن لديه هو مانع من أن نحصل منه على معلومات، على الرغم من أن الرجل لم يكن لديه الكثير من الآخبار ليقدمها لنا. فهو لم يسمع شيء عن تيرا نوفا (الأرض الجديدة)؛ على الجانب الأخر، كان باستطاعه أن يخبرنا أن سفينة الدكتور ماوسون، الأوروورا (الفجر القطبي)، يقودها الكابتن ديفيد من المتوقع وصولها إلى هوبرات في أي يوم. علمنا منه أنهم كانوا ينتظرون وصول الفرام منذ بداية شهر فبراير وقد يئسوا من وصولنا منذ وقت طويل. على أي حال كانت تلك مفاجأة.

كان من الواضح أن ضيفنا لا يرغب في التعرف على مطبخنا؛ على أية حال، فقد رفض بقوة كبيرة دعوتنا إياه إلى الإفطار. ما يمكن إفتراضه أنه كان خائفا من أن يقدم له طبق من لحم الكلاب أو الأطباق الأصلية

المشابهة. من ناحية أخرى، فقد أظهر تقديرا كبيرا للتبغ النرويجي. فقام بملء حقيبة يدة عن آخرها تقريبا منه ثم غادرنا.

تقع مدينة هوبرات على ضفاف نهر درونت، والذي يمتد إلى داخل خليج ستورم. كانت المناظر المحيطة جميلة وكان من الواضح أن التربة خصبة؛ لكن الغابات والحقول كانت تبدو محروقة عند وصولنا؛ فقد سادت فترات طويلة من الجفاف المنطقة مما وضعت نهاية لكل شيء أخضر. بالنسبة لعيوننا فقد كانت بالرغم من ذلك تشعر ببهجة غير مخلوطة للنظر إلى المروج والغابات حتى وإن كانت ألوانها ليست نضرة تماما. لم يكن من الصعب جدا علينا أن نشعر بالسرور عند ذلك الحد.

من ناحية أخرى كان ميناء هوبرات نموذجيا تماما، ميناء كبير ويتمتع بحماية جيدة بشكل ملحوظ وبينما كنا نقترب من المدينة، صعد على متن السفينة الموكب المعتاد لرئيس المرفأ والدكتور وموظفو الجمرك. سرعان ما رأى الدكتور أنه لا يوجد عمل يؤديه قسمه، واقتنع موظفو الجمارك بسهولة أننا لا نملك بضائع ممنوعة. أسقطت المرساة، وخلي بيننا وبين الأرض. أخذت معي برقياتي وذهبت بصحبة رئيس المرفأ إلى الشاطئ.